هذه الوثيقة[١] تسمح بتكوين صورة ملموسة كفاية عن الشكل الذي تظهر به المعارضة في النظام الشيوعي الصيني : فلا تظهر اطلاقا صورتها الحقيقية باستعمال التلميحات المداورة وباللجوء الى مختلف التمويهات الساذجة جدا احيانا .

((احاديث المساء في ينشان)) لمؤلفها تنغ تو : مجموعة من التلميحات المعادية للحزب والاشتراكية[٢] .

١ – حملات غادرة على حزبنا العظيم

حملات غادرة على الموضوعة العلمية : ((ريح الشرق تتغلب على ريح الغرب))، بوصفها كلاما أجوف كبير وكليشة :

وُهِبَ بعض الناس سهولة في الكلام[٣] . يستطيعون ان يتكلموا دون انتهاء وفي اية مناسبة ، كما يسيل الماء من نهر لم تقم عليه السدود . الا انك اذا حاولت ان تتذكر ما قالوا بعد ان تكون قد اصغيت اليهم ، فلن تتذكر شيئا .

الاحاديث الطوال التي لا تعدل شيئا وزيادة الغموض بمزيد من الايضاح او اعطاء الايضاحات التي لا توضح شيئا – تلك هي سمات الكلام الأجوف الكبير .

لا يسعنا انكار ان هذا الكلام الاجوف الكبير لا مفر منه في بعض الظروف الخاصة ولذا فهو ، بمعنى ما ، ضرورة ، ومع ذلك ، فانه يبقى من المؤسف كل الأسف ان يصبح هذا الكلام الاجوف الكبير زيا سائدا يُسبَغ على كل مناسبة او اذا ما عني بتربيته كمهارة خاصة .

ويكون البلاء اعظم اذا ما لقن اولادنا هذه المهارة فتحولوا الى شراذم من الاختصاصيين في الكلام الأجوف الكبير .

شاءت الصدف ان ابن جاري قد اكثر مؤخرا من تقليد احد كبار الشعراء فكتب طائفة من ((الكلام الأجوف الكبير)) كتب اخيرا قصيدة عنوانها ((انشودة الى الاعشاب البرية)) لا تعدو كونها كلاما اجوف كبيرا . جاء فيها :

السماء الجليلة أبونا ،
والارض العظيمة أمنا ،
والشمس مرضعنا ،
وريح الشرق فيها الخير لنا
وريح الغرب تعادينا .

وعلى الرغم من ان ألفاظا مثل السماء والارض والاب والأم والشمس والمرضع وريح الشرق وريح الغرب تستوقف النظر ، فانها **قد استعملت ههنا بلا هدف وأصبحت مجرد كليشهات .**

ان اللجوء الى اروع الالفاظ والعبارات عبث . بل ان الوضع ليزداد سوءا كلما كثر استخدام هذه الكليشهات . لذا فاني انصح هؤلاء الاصدقاء الذين يتعاطون الكلام الفارغ الكبير ، ان يزيدوا

من المطالعة والتفكير ويقلوا من الكلام ويخلدوا الى الراحة عندما يحين أوان الكلام ، بحيث يوفرون الوقت والطاقة على انفسهم وعلى الآخرين .

(من مقال : ((الكلام الفارغ الكبير)))
خط الجبهة ، العدد ٢١ ، ١٩٦١ .

التعليق :

ان ((ريح الشرق تتغلب على ريح الغرب)) هي موضوعة علمية قدمها الرئيس ماو تسي تونغ الى اجتماع الاحزاب الشيوعية والعمالية في ١٨ تشرين الثاني ١٩٥٧ . وهي تعبر بالمجاز الحي ، عن بلوغ الوضع الدولي نقطة تحول جديدة وعن ان قوى الاشتراكية قد تفوقت على قوى الامبريالية . وترمز ريح الشرق الى القوى الثورية المعادية للامبريالية وهي قوى البروليتاريا العالمية والشعوب المضطهدة في آسيا وأفريقيا وأميركا اللاتينية . وترمز ريح الغرب الى قوى الامبريالية والرجعية المنحطة في كل البلدان . ومن الصحيح كل الصحة ان يمتدح المرء ريح الشرق ويكره ريح الغرب . فلماذا يختار تنغ تو النص ((ريح الشرق فيها الخير لنا وريح الغرب تعادينا)) ويصفه بأنه كلام فارغ كبير وكليشه ؟ لقد قال المحرفون بصخب انه ينبغي ((معارضة النظريات العقيدية حول تنافس خرافي بين "ريح الشرق وريح الغرب" بمزيد من الاقدام والحزم)) وهكذا فان تنغ تو يضرب ههنا على وتر المحرفين اياه .

٢ – الغمز بأن قيادة حزبنا ((مغرورة)) وبأنها ((تتعالى على الجماهير))

ليست حكمة الانسان غير محدودة ابدا . والاحمق وحده يتخيل انه يعلم كل شيء وان له معينا من الحكمة لا ينضب ، اذ ان ذلك يستحيل في الواقع اطلاقا . . . ويبدو بعض الناس حاذقين ، ولكنهم في حدود الدقة ليسوا حاذقين الا ظاهرا او حاذقين على نحو تافه ، ولا يمكن اعتبارهم حاذقين حقا ، بله حكماء .

وقد اتخذ لاوتسو (فيلسوف قديم) موقفا متطرفا حيال ذلك ، ثم اتخذ ملوك الممالك الست من بعد موقفا متطرفا في الاتجاه المقابل . اراد الاول طمس كل حكمة وحس سليم ونكران كل شيء، في حين اعتمد الآخرون على حكمتهم الخاصة وانتابهم الغرور . ولم يدرك أي منهما طبعا نتائج حسنة كان مصدر الخطأ لديهم انهم لم يقدروا حكمة الجماهير .

ان أجود الافكار لا يمكن ان تصدر الا من الجماهير . كتب كبير الوزراء كوانغ هنغ في عهد الامبراطور يوان من اسرة هان ، مذكرة الى الامبراطور قال فيها : ((سمعت ان على المرء ان يشاور سواد الناس وينصاع اليهم حيث ان هذه هي ارادة السماء)) . . وفي زمان الامبراطور كوانغ وو من الاسرة ذاتها ، قدم العالم الشهير تشنغ هسينغ ايضا نصيحة الى الامبراطور بأن عليه ان ((يسأل الآراء من كل صوب ويتقبل الاقتراحات من تحت)) . وقدم فان–ياو فو بن تشونغ–ين من اسرة سونغ النصيحة التالية الى سوما كوانغ : ((آمل انك سوف تكون متواضعا بحيث تشجع مناقشة شؤون الدولة بين الجماهير . لا ضرورة ان يخطط المرء كل شيء بنفسه . وعندما يخطط المرء كل شيء بنفسه فان المتملقين سوف ينتهزون الفرصة ليقولوا له ما يطيب له)) . ان آراء هؤلاء الأقدمين كلها جيدة جدا . وفكرة فان ياو–فو بان ((لا ضرورة ان يخطط المرء كل شيء بنفسه)) جديرة باهتمام خاص . **الا ان بعض الناس ، مع ذلك يخامرهم التبجح والغرور باستمرار ، ويتعالون على الجماهير ، ويتخذون كل القرارات بانفسهم ، أملا في**

تحقيق النجاح بأفكار فذة ، ويرفـحون النصح الطيب الذي يأتي من تحت . فاذا لم يع مثل هؤلاء الناس مثالبهم ولم يحاولوا التغلب عليها ، فلا بد ان يعانوا نكسات بليغة .

(من مقال ((هل يمكن الاعتماد على الحكمة ؟)) احاديث المساء في ينشان ، المجلد الرابع ص ١٧ – ١٩ . نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ٢٢ شباط ١٩٦٢ .

التعليق :

لماذا يستسيغ تنغ تو حاليا قصصا قديمة مثل قصة كوانغ هنغ ينصح الامبراطور يوان بان ((يشاور سواد الناس وينصاع اليهم)) ، وقصة تشنغ هسينغ ينصح الامبراطور كوانغ وو بان ((يتقبل الاقتراحات من تحت)) ؟ انه يهاجم حزبنا العظيم هجوما ملتويا بأنه ((مغرور ويتعالى على الجماهير)) . ويتضح ذلك عندما نقارن اقواله بما يفتريه المحرفون ضدنا . الا يطابق كلام تنغ تو ما يصم به المحرفون المحدثون حزبنا ؟

٣ – التخرص على حزبنا بانه ((يرجع عن كلامه)) وبأنه ((غير اهل للثقة))

ما اكثر الناس المصابين بالامراض . . . ويدعى احد هذه الامراض ((فقدان الذاكرة)) . ما اتعب هذا الداء فلا يسهل شفاء المصابين به .

وكثيرا ما يبدي مثل هذا المريض . . . أعراضا من نوع الرجوع عن كلمته والنكوص بعهده حتى ان القوم يميلون الى الظن بأنه يتظاهر بالبلاهة ولذا فلا يكون اهلا للثقة . . .

وهناك حكاية تمثل **حالة نموذجية** من فقدان الذاكرة ، يرويها لو تشو من عهد اسرة مينغ من كتاب ((قصص اخرى على لسان آي تسو)) :

كان في دولة تشي رجل شديد النسيان حتى انه نسي مرة بعد ان اخذ يمشي ونسي ان ينهض بعد ان اضطجع ، فقلقت زوجته قلقا شديدا وقالت له : ((سمعت ان آي تسو رجل ذكي حاذق وأنه يستطيع علاج اكثر الامراض تحييرا . فلِمَ لا تذهب وتستشيره ؟)) . اجاب الرجل : ((حسنا)) . وركب حصانه حاملا معه قوسه وسهمه . وبعد ان سار قليلا ادركته حاجة فترجل وغرز سهمه في الارض وربط حصانه بشجرة . وبعد ان قضى حاجته نظر الى يساره فشاهد سهمه وصاح : ((يا الهي ! ما أدهش نجاتي ! من أين أتى هذا السهم ؟ انه كاد يصيبني)) . ثم نظر يمنه فرأى حصانه وصاح فرحا : ((على الرغم من فزعي فها انا واجد حصانا)) . وعندما هَمَ بالركوب ثانية والعنان في يده ، داس في غائطه على غرة ، فضرب الارض بقدمه متبرما : ((لقد دعست في روثة كلب ووسخت حذائي ! يا للأسف !)) ثم ساط حصانه وعاد الى بيته . وصل بيته فتردد امام الباب متسائلا ((من ترى يسكن ههنا ؟ هل هذا بيت المعلم آي ؟)) فرأت زوجته في اية حيرة هو وعلمت أنه فقد الذاكرة من جديد فأخذت توبخه . دهش الرجل وسأل : ((أننا لا نعرف بعضنا يا سيدتي فلماذا تشتمينني ؟))

يبدو ان هذا الرجل كان مصابا بحالة بليغة من فقدان الذاكرة . لكننا لا نستطيع الجزم كيف تكون هذه الحالة في أسوأ صورها والأرجح انها تؤدي الى الجنون او البلاهة .

ان احد اسباب فقدان الذاكرة ، وفقا لكتب الطب الصينية القديمة . . . هو الاضطراب في عمل ما يسمى نفس الحياة . وبنتيجته فلا يشكو المريض من فقدان الذاكرة وحسب ، بل يصبح بالتدريج **متقلب الأهواء** ، ويعاني صعوبة كبرى في النطق ، ويصبح سهل الاثارة حتى انه ينتهي الى الجنون ويهيم على وجهه . وهناك سبب اخر هو الآفة الدماغية . فيشعر المريض بالخدر احيانا ويندفع الدم من قلبه الى رأسه ، متسببا بالاغماء في بعض الاوقات . واذا ما وجد امروؤ أيا من

هذه الاعراض في نفسه ، **وجب عليه** ان يخلد في الحال الى الراحة التامة ، فلا يقول او يفعل شيئا . اما اذا أصر على الكلام والعمل ، فلا بد أنه ساع الى المتاعب .

الا توجد حقا طرق ناجعة لمعالجة هذا الداء ؟ انها موجودة بالتأكيد . فمثلا . . . عندما تنتاب المريض نوبة قلبية ، **استحصلوا فورا على سطل من دم الكلاب وصبوه على رأسه ثم صبوا من بعده ماء باردا بحيث تنجلي** افكاره قليلا . . . وفي رأي الطب الغربي الحديث ان احدى الطرق هي **ضرب المريض على رأسه بهراوة مصنوعة خصيصا لاحداث حالة من ((الصدمة)) ولرده من ثم الى وعيه .**

(من مقال : ((علاج نوعي ل " فقدان الذاكرة ")) خط الجبهة ، العدد ١٤ ، ١٩٦٢)

التعليق :

واضح ان هذه القطعة تنم عن أقتل الحقد على حزبنا العظيم . ليس ثمة كتاب طبي يقول ان ((رجوع المرء عن كلمته والنكول بعهده)) و ((تقلب الأهواء)) و ((الهيام على وجهه)) هي من أعراض فقدان الذاكرة ، وليس ثمة مصنف في العقاقير يُصَفْ لعلاج فقدان الذاكرة صب دم الكلاب على رأس المريض او ضربه بهراوة لافقاده وعيه . وان كتاب ((قصص اخرى على لسان آي تسو)) لمؤلفه لو تشو من عهد أسرة ينغ يحتوي على الأحاجي السياسية وليس بحثا طبيا. ان تنغ تو يتكلم هنا في السياسة وليس في الطب . وهذا واقع لا مراء فيه .

٤ ـ الافتراء على قيادة حزبنا بأنها ((تشوكه ليانغ البكّاء))

ان تشوكه ليانغ البكاء شخصية يرثى لها . يظهر هذا اللقب في سالفة عنوانها ((كو ني يُشبِّه نفسه بتشوكه ليانغ)) ، في المجلد الخامس عشر من ال ((خواطر بجانب السرير)) (تشنغ شيه) تأليف يوه كو حفيد يوه فاي . جاء في هذه القصة :

عندما كان كو ني آمر الحامية الى الشرق من نهر هو آي وكان يبني الاسوار لمدينتين ، كان كوني يتبجح حتى ان احد لم يجرؤ ان يتحداه . وكتب ذات يوم على مروحته البيتين التاليين :

دعي ثلاث مرات متتالية لاستشارته في شؤون الدولة .

وفي عهد ملكين اثنين أسدى الوزير العجوز فكره لحكم البلاد .

بعبارة اخرى ، فأن كو ني كان يحسب نفسه تشوكه ليانغ . . . واتفق لي ان زرت محافظة سي في الصيف ، فشاهدت هذين البيتين مكتوبين على مروحة خاصة بالضيوف فأدركت ان ما سمعته لم يكن مجرد اشاعة . وبعد هزيمة كو تشو في فولي وهزيمة كو تشو ان في ييتشن ، يئس كو ني من تلافي وضع لا رجاء فيه ، فسالت دموعه امام ضيوفه . كان ينغ فا آنذاك متصرفا (مسؤول اداري عن محافظة) وشاهد الحادث وكان صاحب نكتة ، فحدث القوم قائلا : ((لدينا ههنا تشوكه ليانغ بكّاء)) . سرت النكتة وحازت اعجابا كثيرا ، وبلغت مسامع كو ني ، فانتابه الغضب وعزم على معاقبة ينغ ، الا انه عُزل من منصبه قبل ان ينفذ رغبته .

ان امثال كو ني ، تشوكه ليانغ البكّاء هذا ، ليسوا الا مدعاة السخرية والاشمئزاز . بيد ان السالفة توضح ان امراءا يُشَبِّه نفسه بتشوكه ليانغ لا يخيف الناس ابدا ، ولا بد ان يأتي يوم يظهر فيه على سجيته ويصبح اضحوكة العالم اجمع .

(من مقال : ثلاثة اصناف من تشوكه ليانغ)) ، احاديث المساء في ينشان ، المجلد الرابع ، ص ١٢ . نشر لاول

مرة في : اخبار بكين المسائية ١ آذار ١٩٦٢) .

التعليق :

الى من يشير تنغ تو عندما ينال بشدة مما يسميه ((تشوكه ليانغ البكّاء)) ويقول ان من ((يُشبِّه نفسه بتشوكه ليانغ)) سوف ((يظهر على سجيته)) ؟ لو كان يشير الى طبقتي ملاك الارض والرأسماليين ، لمّا احتاج لمثل لمثل هذا الالتباس المقنَّع . لا بد من الخلوص الى انه يقدح في قيادة حزبنا .

٥ – معارضة الخط العام في البناء الاشتراكي والقفزة الكبرى الى الامام ومهاجمة ديكتاتورية البروليتاريا .

وصم قفزتنا الكبرى الى الامام ب ((التبجح)) و ((التباهي)) وادعاء اننا ((ناطحنا جدار الواقع الآجري)) .

متى سنح لكم الوقت ، اقرأوا بعض القصص الشعبية او الحكايات الاجنبية فهي جزيلة الفائدة لكم . . . واذا اوتيتم القدرة على استقراء ثلاث نقاط من واحدة ، فانكم سوف ترون كل الشياطين والعفاريت ، مهما اوتوا من حيل . ولنفترض اننا نطالع ((حكايات ايزوب)) ، نجد فيها مثلا الحكاية التالية :

كثيرا ما استنكر المواطنون في احدى المدن احد الرباعين في الخماسي[٤] لقلة شجاعته . لذا اغترب مدة من الزمن ، ولدى عودته ، راح يتبجح عن مآثره في المباريات التي اقيمت في مختلف المدن الاخرى ، ولا سيما عن قفزة طويلة قفزها في رودس ، وهي قفزة لم يضارعه فيها أي فائز في الالعاب الاولمبية . وقال : ((من يذهب منكم الى رودس في المرة القادمة ، سوف يؤكد له الشهود العيان هناك مآثري)) . فصاح احد الحضور عند ذلك : ((يا صاح ! اذا كان قولك صحيحا فلا حاجة لك بالشهود ، هنا رودس فاقفز هنا !))

توضح الوقائع ان **المتبجحين لا يعرفون التبجح ولا ينتقلون الى العمل ابدا . وحتى هذا اليوم، فان المرء يستطيع ان يلقى مثل هؤلاء المتبجحين دائما وفي كل مكان .** قد يتفاوتون في تبجحهم درجات ، الا انه تبجح على كل حال .

تساعد هذه الحكاية الناس ايضا على معرفة المتبجحين المحتالين بحقيقتهم وعلى كشف نفاقهم .

وهناك حكاية لكريلوف (مؤلف حكايات روسي) تسدي المغزى نفسه ايضا :

طار عصفور فوق البحر ، فتبجح انه يستطيع جعله يغلي حتى يجف . . . فسرت الشائعة سريعا وكان السذج اول من ذهب الى الشط بملاعقهم لينالوا نصيبهم من حساء السمك اللذيذ .

بالغ اتباع ارنست ماخ (فيلسوف نمساوي : ١٨٣٨ – ١٩١٦) بدور ما أسموه ((العامل النفسي)) وأطنبوا به على هواهم . أليس هذا شبيها بهراء العصفور حول غليان البحر حتى يجف؟

بيد ان الماخيين قد تصوروا انهم بالاعتماد على دور العامل النفساني يستطيعون ان يفعلوا ما يطيب لهم . اما النتيجة فكانت انهم ناطحوا جدار الواقع الآجري وأفلسوا في النهاية .

(من مقال : ((حكايتان اجنبيتان)) ، احاديث المساء في ينشان ، المجلد الخامس ، ص ٩١ – ٩٣ . نشر لاول مرة في اخبار بكين المسائية ، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦١)

التعليق :

يستطيع كل ذي عين بصيرة ان يرى لاول نظرة ان هذا قدح بقفزتنا الكبرى الى الامام ، وافتراء علينا ب ((التبجح)) و ((مناطحة جدار الواقع الآجري)) . ولو لم يكن الامر كذلك لما تحمل تنغ تو عنت الكلام عن ((المغزى العميق)) في هاتين الحكايتين ، اللتين توفران على حد قوله مادة ((للتفكر العميق)) . لماذا يصيح ان المرء يستطيع حتى هذا اليوم ان ((يلقى مثل هؤلاء المتبجحين دائما وفي كل مكان)) ؟ ولو كان يقص القصص وحسب ، فلماذا يتكلم اذن عن دور ((العامل النفسي)) الذي أطنب به الماخيون ؟ كل واحد يعلم ان الامبرياليين والتحريفيين قد حملوا على قفزتنا الكبرى الى الامام فوصموها ب ((التعالي)) و ((المشروع المتهور)) و ((الاندفاع الارادي)) . وقد افترى الانتهازيون اليمينيون عليها كذلك بانها ((التهاب دماغي)) و ((حمى شديدة)) و ((مثالية)) . رجاء ، هل هذه صدفة محضة ؟

– ان من قرأ ((رواية الممالك الثلاث)) يتذكر المشهد حيث زرف تشوكه ليانغ دموعا وهو يأمر باعدام ماسو . وأورد تشوكه ليانغ ما قاله ليو باي قبل وفاته عن ماسو ، ولا سيما ان ماسو يستسيغ المبالغة ، ولذا فلا يمكن الوثوق به للمهمات الخطيرة . . . كان لوباي عارفا بطباع ماسو، وكان هذا في نظره متبجحا ليس الا . **فحتى في الزمان الغابر ، كان الناس يعرفون مساوىء التبجح** . ولهذا السبب قال كوان تسو ((لا يجوز ان يفضل الكلام الواقع ، ولا ان يتجاوز الواقع اسمه)) . هذا تحذير للناس **بألا يتباهو او يتبجحوا ابدا ، وأن يحترزوا في تصريف الامور ، ويكثروا من العمل ويقلوا من الكلام اكثر يعد من الشهرة .**

واذا ذهبنا مذهب وانغ تشونغ ، المفكر من عهد اسرة هان ، بدا لنا ان اولئك الذين لم يَأخُذوا بهذه الحكمة عبر العصور ، كانوا في الغالب من العلماء والادباء . يقول وانغ تشونغ في كتابه ((رزن الآراء)) : ((ان اقوال اتباع كوانغ فو–تسي اجمل من ان تكون صحيحة)) . قَصَدَ بوضوح ان الادباء ومن يحذو حذوهم يستسيغون التبجح دائما . والواقع ان **الادباء ليسوا بأية حال هم وحدهم الذين يتعاطون التبجح ، فهناك الكثيرون يفعلون ذلك ايضا .**

سخر لو تشو من تشيسون الذي كان يجسد الامير منغ تشانغ ، لتبجحه بأن لديه مثل الامير حاشية تعدادها ثلاثة آلاف . غير ان تحقيقا بسيطا كشف حقيقة هذا الحديث المتبجح من جانب تشيسون . كان هدف لو تشو من رواية هذه القصة غير المسندة هو ارشاد الناس ألا يتبجحوا .

لقد حفظ التاريخ حالات واقعة كثيرة لاناس كانوا يحبون التبجح . اما هذه القصص الخيالية ، فهي ذات صفة أعم ، **وتلخص مختلف اساليب التبجح في مواقف نموذجية ، فهي اكثر استرعاء للانتباه وأدعى ليقظة الناس وبالتالي فهم اعظم قيمة تربوية .**

(من مقال ((قصص عن التبجح)) احاديث المساء في ينشان ، المجلد الخامس ، ص ٨٨ – ٩٠. نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ١١ حزيران ١٩٦١)

– كان وانغ آن شي رجل دولة كبير من المدرسة الاصلاحية في عهد اسرة سونغ . وكانت لديه افكار كثيرة عن اصلاحات ينبغي انجازها الا انه كان يفتقر الى المعرفة العلمية والتجربة . قال تشانغ لاي من عهد الاسرة ذاتها في كتابه ((خواطر متنوعة)) :

عندما كان وانغ آن شي رئيسا للوزراء ، تكلم كثيرا عن بناء الانشاءات لحفظ المياه في البلاد . وكان يريد تجفيف بحيرة تايهو من مائها ، بغية استطلاح عشرات آلاف الهكتارات من الارض الخصبة . وقد سخر الناس من هذه الفكرة . تحدث وانغ كونغ–فو حاضرا فسارع الى القول : ((انه امر سهل التحقيق)) . فسأل وانغ آن–شي : ((كيف ذلك ؟)) . **فأجاب ليو كونغ–**

فو: ((ليس عليك الا ان تنشيء بحيرة اخرى بجانب بحيرة تايهو ، فتجمع مياه الاولى فيها)) . فانفجر وانغ آن–شي نفسه ضاحكا عند ذلك .
وفي الفترة التي تولى فيها وانغ آن–شي مقاليد السلطة ، سرت بحقه نوادر كثيرة مماثلة ، تظهر كلها ان افكاره الكثيرة كانت غير عملية بطبيعتها . وكان يعوزه التواضع بصورة خاصة ، ويمكن القول ان ذلك كان مثلبته الرئيسية .

(من مقال : ((مزيد من الدراسة وأقل من النقد)) ،
احاديث المساء في ينشان . المجلد الثاني ، ص ٤٨.
نشر لاول مرة في اخبار بكين المسائية ٢ نيسان ١٩٦١)

التعليق :

يعاود تنغ تو مرة بعد مرة مهاجمة ما يسميه ((التباهي)) او ((التبجح)) ويقول ان الادباء ليسوا بأية حال هم وحدهم ، الذين يتعاطون التبجح ، وأن ((رجال الدولة الكبار)) يقعون فيه ايضا . فهل يتكلم ههنا عن التاريخ الغابر ؟ كلا . انه يهجو الحاضر بعبارات من الماضي ، وهو يمني النفس باثارة الناس الى معارضة الخط العام للحزب ومهاجمة القفزة الكبرى الى الامام .

٦ – الافتراء على حزبنا بانه لم يدخر قوة العمل خلال القفزة الكبرى الى الامام :

حتى في عصر حوليات الربيع والخريف وعصر الممالك المحتربة على وجه التقريب ، وجد **رجال دولة كبار فهموا اهمية ادخار قوة العمل** . . . وقد اكتشفوا بتجربة حكمهم **((الحدود)) في ((انفاق قوة عمل الشعب)) وقد اكتشفوا في الواقع بعض القوانين الموضوعية التي تتحكم بزيادة ونقصان قوة العمل .**
جاء في ال ((فصل في النظام الملكي)) من ((كتاب الشعائر)) : ((لا يجوز استخدام قوة الشعب اكثر من ثلاثة ايام في السنة الواحدة)) . وقد علق تشن هاو وهو عالم من عهدة اسرة يوان بهذا الصدد بقوله : ((كانت قوة عمل الشعب تُستَخدَم لبناء اسوار المدن والطرقات والدروب والخنادق والقصور والمعابد)) . **وهذا ما يعني في لغة ايامنا قوة العمل المستخدمة في شتى انواع البناء الاساسي .**
وقد حدد الاقدمون مقدارا لقوة العمل المستخدمة في كل انواع البناء الاساسي وفقا لمستوى القوى المنتجة الاجتماعية في زمانهم ، وهو حوالي ١% من مجموع قوة العمل المتوفرة . وتبدو هذه النسبة ، في منظورنا الراهن ، مناسبة في بلد عريق يقوم في الاساس على الانتاج الزراعي .
وقد نصح هوين ، وهو يرسم الخط للامير تشونغ اره من دولة تشين : ((بعد ان توفر قوة العمل لديك اثنتي عشرة سنة ، تستطيع ان تذهب بعيدا)) . وكان آنذاك يرافق الامير في اجتياز وولو في دولة واي ، فتنبأ ب ((انك سوف تفتح هذه الارض بعد اثنتي عشرة سنة)) . ويبدو من هذه القصة ان رجلا مثل هوين فهم جيدا كيف يراكم قوة العمل في الظروف التاريخية للأزمنة القديمة . **فاذا استطاع من عاش في القرن السابع ق . م ان يفهم هذه الحقيقة ، فحري بنا طبعا ، نحن الذين نعيش في الستينات من القرن العشرين ، ان نفهمها على نحو افضل .**

يجب ان نستمد أنوارا جديدة من تجربة الأقدمين .

(من مقال : ((نظرية ادخار قوة العمل)) احاديث المساء في

ينشان المجلد الاول ص ٥٦ – ٥٨ . نشر لاول مرة في
اخبار بكين المسائية ، ٣٠ نيسان ١٩٦١) .

التعليق :

دعوى ان الاقدمين قد اكتشفوا بعض ((القوانين بزيادة ونقصان قوة العمل)) هي بما ينافي المنطق تماما ، وقوله ((حري بنا طبعا ، نحن الذين نعيش في الستينات من القرن العشرين ، ان نفهمها على نحو افضل)) وأنه ((يجب ان نستمد انوارا جديدة من تجربة الاقدمين)) ، هي بوضوح تهجمات علينا ، تفيد اننا لم ندخر قوة العمل خلال القفزة الكبرى الى امام واثناء القيام بالبناء الاساسي ومشاريع حفظ المياه .

٧ – التخرص بأن قضية بنائنا الاشتراكي ((منتهية)) :

يبدأ تراكم الثروة الكبيرة حقا بمبلغ زهيد ، مثلما يتألف الرداء من جميع قطع الفراء الصغيرة، او النهر من اجتماع قطرات ماء كثيرة . ولكن هذا لا يعني في كل الاحوال انك قد كنزت ثروة عندما تمتلك بيضة واحدة . ليس الامر على هذا القدر من البساطة والسهولة .

في عهد الامبراطور وان لي من اسرة مينغ ، كان هناك قاص اسمه تشيانغ يينغ–كو ، واليك قصة له من ((فصص هسييوه تاو)) :

كان في المدينة رجل فقير الى حد انه لم يعلم يوما اين ومتى سوف يتناول وجبة طعامه التالية . اتفق له مرة ان وجد بيضة . فانبسطت اساريره وقال لزوجته ((لقد وجدت ثروة عائلتنا)) . سَألته اين هي ، فأراها البيضة قائلا : ((هذه هي . الا ان بناء ثروتنا سوف يستغرق عشر سنين)). ثم ناقش مشروعه مع زوجته : ((سوف اجعل دجاجة جاري تحضن لي هذه البيضة ومتى كبر الفراخ سوف اختار احدى اناثها لتبيض وسوف احصل على ١٥ فروجا كل شهر . وبعد سنتين سوف يصبح عددها ٣٠٠ . سأبيعها عندئذ بعشرة دنانير من الذهب ، استطيع ان اشتري بها خمس بقرات ولود ينتجن عجولا . سوف تتوالد البقرات حتى يصبحن ٢٥ بعد ثلاث سنوات و ١٥٠ بعد ثلاث سنوات و ١٥٠ بعد ثلاث سنوات اخرى ، وسوف ابيعها ب ٣٠٠ دينار ذهبي . فاذا ادنت هذا المال بالربا ، فسوف اكتنز ٥٠٠ دينار ذهبي بعد ثلاث سنوات)) .

تمر بقية القصة دونما تفاصيل مهمة تقريبا ، ولذا سوف اهملها ، عدا نقطة واحدة جديرة بالذكر : قال هذا الرجل الطماع في نهاية القصة انه سوف يتخذ خليلة ، **فاستشاطت زوجته غضبا عند ذلك وحطمت البيضة بضربة من قبضتها . وهكذا دمرت ثروة عائلته التي قوامها بيضة واحدة تدميرا تاما .**

الا ترون ان هذه القصة تساعد على تفسير امور كثيرة . فان هذا الرجل الطماع قد ادرك ايضا ان بناء ثروة عائلته يتطلب زمنا طويلا ، ولذا منح نفسه في المناقشة مع زوجته عشر سنوات لهذه الغاية . وكان ذلك يبدو معقولا ، الا ان مشروعه كان يفتقر الى أي اساس متين وكان يتألف من سلسلة من الافتراضات البحتة بعضها مربوط برقاب بعض . وقد استبدل الحقيقة بالوهم تماما عندما اراد تصوير ما سوف يحدث بعد عشر سنوات ، فكشف انه رجل طامع بالمال. وكانت النتيجة ان غضبت زوجته **ودمرت بضربة من قبضتها ثروته كلها .**

(من مقال ((ثروة عائلية تتألف من بيضة واحدة))
احاديث المساء في ينشان . المجلد الاول ص ٧٦ – ٧٧ .
نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ١٨ حزيران سنة ١٩٦١) .

التعليق :

عندما وضع حزبنا مخططه للبناء الاقتصادي الاشتراكي ، صاح التحريفيون : ((علينا التريث لنرى نصيبه من التحقيق)) . وعندما وقعنا في صعوبات مؤقتة ، طعنوا بقفزتنا الكبرى الى امام على انها ((فشلت)) و ((انهارت)) . ويتحدث تنغ توهو ايضا في هذه القطعة عن تعاطي الهذيان ، و ((استبدال الواقع بالاوهام)) وعن ((تدمير ثروة العائلة التي قوامها بيضة واحدة تدميرا تاما)) . . . الخ . أليست هذه ايضا حملات على قفزتنا الكبرى الى امام بأنها ((فشلت)) ؟ الا تضرب على وتر واحد مع حملات التحريفيين ؟

٨ ـ طعنات غادرة في ديكتاتورية البروليتاريا :

كثيرا ما علق المؤرخون القدامى ايضا على اسلوب الملوك وأسلوب الطغاة . لكن كيف ننظر الى اسلوب الملوك واسلوب الطغاة من منظورنا الراهن هذا اليوم ؟
كتب ليو هسيانغ في كتابه ((السوالف التاريخية في حلة جديدة)) ، في فصل ((الحذق في الريادة)) . قال : ((اسلوب الملوك انعم من حجر المسن ، وهو ينبع من المشاعر الانسانية والشعائر)) . وفي مكان اخر من الكتاب ذاته : ((اقامت الأسر الثلاث جميعا حكما ملكيا باتباع طرق مختلفة . وأقام الطغاة الخمسة حكما طاغيا باستخدام قوانين مختلفة)) . يبدو ان ليو هسيانغ قد امتدح اسلوب الملوك واستنكر اسلوب الطغاة . واعتبر ان اسلوب الملوك هو نتيجة تضافر العواطف الانسانية مع الشرع والاخلاق . وهذا صحيح ، اذ ورد منذ زمن بعيد في كتاب ((الشعائر)) : ((اذا تمت الشعائر والموسيقى والعقوبات والادارة على نحو اللين والصواب ، اذن يبلغ اسلوب الملوك وجه الكمال)) . ولذا فان ما يسمى اسلوب الملوك يشير في الواقع الى بعض المواقف والافعال التي يعمد اليها الناس في معالجة كافة المسائل في مرحلة تاريخية معينة، طبقا للمشاعر الانسانية والمعايير الاخلاقية الاجتماعية السائدة ، وعلى وفاق مع الانظمة السياسية والقضائية الراهنة . وبالعكس ، فاذا ضرب المرء بكل اعتبار عرض الحائط ، واعتمد السلطان والقوة وعمد الى العنف والقسر ، وأصدر الاوامر الى الناس وسلب الشعب بالقوة او بالحيلة ، لكان هذا ما يسمى بأسلوب الطغاة .
فماذا عسى ان يكون اسلوب الملوك وأسلوب الطغاة طبقا لمنظورنا الراهن وبلغتنا هذا اليوم ؟ يمكن ترجمة اسلوب الملوك على انه الطريقة الصادقة الواقعية في التفكير وفي اسلوب العمل التي تتبع خط الجماهير . اما اسلوب الطغاة فيمكن ترجمته بالمقابل بانه الطريقة الذاتية الصلفة والعقيدية في التفكير ، وأسلوب العمل الاعتباطي . ولكنه لا يجوز ان نفرض تفسيرنا على الاقدمين ، ولا يكون من الواقع في شيء ان نحكم عليهم انطلاقا من هذا المنظور .
بيد انه لم يكن من العسير ان نستخلص عبرة من التاريخ القديم . وهذا يشير في النهاية الى ان اسلوب الملوك كان افضل كثيرا من اسلوب الطغاة ، حتى في الزمن الغابر . وجه بان كو ملاحظات لاذعة في عدة مناسبات الى اسلوب الطغاة في كتابه ((تاريخ اسرة هان)) ، عندما روى الموقف في مرحلة ما قبل اسرتي تسين وهان ، عندما كان الامراء يتنازعون السيطرة كتب مثلا : ((قرر الملك ون من دولة تسين ان يَتبع اسلوب الطغاة ، فهاجم دولة واي واعتقل سيو تساو وهزم دولة تشو في تشنغبو ، وانتهى الى دعوة الامراء الى عقد مشار)) . هكذا يستطيع المرء ان يرى ان اولئك الذين ارادوا ان يكونوا طغاة قد استعدوا الناس عليهم في كل مكان وصار الشعب يمقتهم مقتا عظيما .

(من مقال : ((اسلوب الملوك وأسلوب الطغاة)) ، احاديث المساء في ينشان . المجلد الرابع ، ص ١٣ ـ ١٦ . نشر

لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ٢٥ شباط ١٩٦٢)

التعليق :

يعمد هذا المقال الى الماضي لهجاء الحاضر . فيطعن طعنا غادرا بديكتاتورية البروليتاريا . يقول تنغ تو مفتريا علينا : ((يعتمدون السلطان والقوة)) ، ويعمدون الى ((العنف والقسر)) ، و ((صار الشعب يمقتهم)) . نود ان نسأل : من الذي يمقتنا ؟ اننا ممقوتون لدى الملاكين العقاريين والفلاحين الاغنياء وأعداء الثورة والعناصر السيئة واليمينيين . ولا يسع ديكتاتورية البروليتاريا ان تطبق على هؤلاء الناس الا ((اسلوب الطغاة)) وليس سياسة الرأفة . ان تطبيق ((اسلوب الملوك)) او سياسة الرأفة عليهم انما يعني خيانة الثورة والشعب .

٩ – التشكي من الظلم الذي حل بالانتهازيين الذين عزلوا من مناصبهم ، والثناء على ((صلابة عودهم)) ضد الحرب ، وتشجعهم على معاودة الهجوم .

– الدفاع عن لي سان–تساي ، وزير الداخلية والمالية الذي عزل من منصبه :

لي سان تساي هو احد الوجوه التاريخية من بكين ، من عهد اسرة مينغ ومن مواليد تونغتشو ، وقد ذهب طي النسيان منذ زمن بعيد . **وهذا امر يؤسف له** بالنسبة للباحثين في التاريخ المحلي .

كنت اتحدث اخيرا مع بعض الاصدقاء وكلهم مؤرخون ، فاتفق ان ذُكِر اسم هذا الرجل . وعندما عدت الى البيت طالعت بعض المراجع التاريخية فاكتشفت ان حكم المؤرخين القدامى في لي سان–تساي يحتمل النقض **وينبغي اعادة النظر فيه** .

حصل لي سان–تساي (لقبه تاو–فو واسمه المستعار كمؤلف هسيو–وو) على الاجازة في العام الثاني من مُلك وان لي . وقد توالى على مناصب ((وكيل النيابة الامبراطورية)) و ((والي فنيانغ)) و ((وزير الداخلية و وزير المالية)) . وقد عارض الطرق القائمة في جباية ضريبة التعدين وكان مؤيدا نشيطا لحزب تو نغلين . وهو وجه معروف جيدا في ((تاريخ اسرة مينغ)).

ان كتاب ((تاريخ اسرة مينغ)) الذي الفه تشانغ تينغ–يو وغيره في أوائل عهد اسرة تشينغ ، يتضمن سيرة حياة لي سان–تساي وتنتهي بخلاصة هذا نصها :

كا لي سان–تساي رجلا جزيل المواهب شغوفا بالحيل وبارعا في اكتساب الحظوة لدى المسؤولين في البلاط . وقد كسب الصداقات في كل انحاء البلاد خلال السنوات الثلاث عشرة التي عمل فيها واليا على فنيانغ . ولم يستطع ان يتجنب الرشوة دائما فهاجمه الآخرون . وكان الذين ادانوا سان–تساي في ما بعد ، مثل شاو فو–تشونغ وهسو تشاو–كوي ، كلهم من اتباع واي تشونغ–هسين وقد صارت اسماؤهم في قائمة الخونة . اما الذين ظاهروه ، مثل كوهسيان–تشنغ ، تسو يوان–بياو ، تشاو نان–هسينغ ، ليو تسونغ–تشو ، فكانوا جميعا من كبار المسؤولين في ذلك العهد . ولذا فقد اعتبر الجمهور سان–تساي رجلا حكيما .

ان ((تاريخ اسرة مينغ)) يصف لي سان–تساي بانه رجل ((شغوف)) بالحيل وبارع في اكتساب الحظوة لدى المسؤولين في البلاط)) . وليست هذه الملاحظة اطراء له ، فلو كان الامر كذلك ، **لكان لي سان تساي متآمرا يحبك الدسائس ، إلا ان الوقائع تخالف ذلك** . فتبعا ل ((السجل الحقيقي للامبراطور شن تسونغ)) ، في السنتين ٢٧ و ٢٨ من عهد وان لي (وهو الامبراطور شن تسونغ) ، حرر لي سان–تساي مذكرة تلو مذكرة الى الامبراطور حول الافتئاتات التي ترتكب في تكليف المناجم وقد فضح بجرأة الجرائم التي يرتكبها الخصيان في جباية هذه الضرائب ، واعتصارهم الاموال بالجملة ومخالفتهم القانون . وفي السنتين ٣٠ و ٣١

من العهد عاود ارسال المذكرات ، حيث **عبر عن معارضته ضريبة التعدين واقترح تفادي الفيضانات** والجفاف والسيطرة عليهما بكراية الانهار واحتفار القنوات وبناء احواض المرور . ولم يوافق المبراطور على أي من هذه الاقتراحات ، بل على العكس ، فقد عاقب لي سان–تساي ب ((حرمانه من راتبه لمدة خمسة اشهر)) . فكيف يمكن وصفه بانه ((شغوف بالحيل وبارع في اكتساب الحظوة لدى المسؤولين في البلاط)) ؟

ولما تكررت مذكراته الى الامبراطور بلا جدوى رجا لي سان–تساي استقالته من منصبه والاعتكاف في بيته .

طبعا ظهر حزب تو نغلين في الفترة ذاتها لمهاجمة السياسة الاقطاعية السوداء و ((حافظ سان–تساي على وشائج وثيقة مع اعضائه)) . ولهذا السبب هاجمته **قوى الفاسدين الغلاة** هجوما عنيفا ، كما هاجمت اعضاء حزب تونغلين من أمثال كوهسيان–تشنغ وكاوبان–لونغ . ولا غرابة في ان واي تشونغ–هسيان وعصابته قد اعتبروا في ما بعد لي سان تساي وكذلك اعضاء حزب تونغلين أعداءهم الألداء .

وكان طبيعيا ان تعمد قوى الفاسدين الغلاة ، يمثلها شاوفو–تشونغ وهسو تشاو–كوي ، وبتحريض من الخصيان ، الى كيل التهم للي سان–تساي . فقد اتهموه بانه ((محتال كبير يتظاهر بالصدق ومتدلس كبير يتظاهر بالاستقامة)) . وعددوا جرائمه الاربع الكبيرة : الرشوة والخداع والغدر والطغيان . وحتى بعد ان **اعتكف في داره اخيرا** ، لفقوا ضده تهمة ((سرقة الاخشاب الامبراطورية لبناء داره الخاصة)) . **ربما كان هذا هو الاساس الواقعي** الذي استند اليه ((تاريخ اسرة مينغ)) لتقرير انه **((لم يستطع ان يتجنب الرشوة))** . إلا ان لي سان–تساي ارسل المذكرات تكرارا الى الامبراطور طالبا ان ((يرسل بعض الخصيان لاجراء المحاكمة)) ، وأن ((يأتي بعض المسؤولين في البلاط للتحقيق)) وأن ((يستمع الامبراطور شخصيا الى قضيتي)). وكان يبدو انه على حق وعلى ثقة بنفسه ، الا ان بلاط الامبراطور وان لي لم يجسر على اجراء تحقيق شامل في الوقائع . أليس واضحا كيف كانت حقيقة الامر ؟

واذا حكمنا على الوقائع المتعلقة بلي سان–تساي خلال حياته والوقائع التي ظهرت بعد مماته ، فانه يجب ان نعتبره **وجها تاريخيا ايجابيا** ، وان كنا لا نستطيع القول بان شخصيته كانت خلوا من كل مأخذ .

(من مقال : ((دفاعا عن لي سان–تساي)) ، أحاديث
المساء في ينشان ، المجلد الخامس ص ١٠٢ – ١٠٤ .
نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ٢٩ آذار سنة ١٩٦٢) .

التعليق :

كان لي سان–تساي وجها تاريخيا تافها . وكان جزارا قمع انتفاضات الفلاحين ، إلا ان تنغ تو يصفه مسؤولا ترافع عن الشعب وعمل لمصلحته ، وهو يدافع عنه بسبب عزله من منصبه ، قائلا انه كان ((على حق وعلى ثقة بنفسه)) . لماذا ؟ يسهل ادراك ان لي سان–تساي كان رجلا من نمط هالي غوي . وبحجة الدفاع عن لي سان–تساي ، يتظلم تنغ تو في الحقيقة للانتهازيين اليمينيين .

– الاطناب بتشنغ بان–تشياو الذي ((لم تلن له قناة)) ، والذي اضمر حقدا لا يرحم بعد ان عزل من منصبه على اثر ((تهمة ملفقة)) ، والدعوة الى اقتفاء اثره في ((ان يكون المرء سيد نفسه)) ويرفض ((العمل عبدا)) .

في يانغتشو ، بلد الغناء والالحان ،
عرف بأنه ناشز ،
يقرأ بين أريج الازهار وظلال الخيزران .

رسم بريشته اخلاقا مثل ما في حوليات الربيع والخريف ، وتنطق قصائده العشر بالاهواء الازلية في الارض والسماء . لم يعد لسجيته الا عندما خلع قبعة الموظفين ، وكان غمس الحبر بالماء هو مثله الاعلى . ذهب بان تشياو الان ولكن جسد هونغتشاو ما زال قائما ، وتُطِل الرُبا الكثيرة زرقاء صافية في الأفق .

هذه قصيدة على النمط النهجي ، كتبها خلال زيارة ليا نغتشو قمت بها قبل سنتين (١٩٦١) ، تخليدا لذكرى تشنغ بان–تشياو الرسام والشاعر من عهد اسرة تشينغ . . . يوم غد هو ذكرى مولده واعتقد انه ربما كان لزاما بعد ان نفيد من هذه المناسبة لاعادة تقييم هذا الكاتب .

في السنة الخامسة من عهد الامبراطور شانتونغ ، وفي السنة الحادية عشرة نُقل الى محافظة وايهسيان وقد **حلت الكوارث الطبيعية على شانتونغ** عدة سنوات متوالية . فبَذل جهودا نشيطة في جمع الاموال للاغاثة ، فاثار ذلك امتعاض الاعيان المتنفذين والتجار الاثرياء . فأُتُهم ب ((الفساد والاختلاس)) وعزل من منصبه .

ادى تشنغ بان–تشياو عملا ممتازا للاغاثة في شانتونغ ، و وقف الى جانب الشعب تماما وعمل في سبيل مصلحة الجماهير المنكوبة بالكوارث الطبيعية ، ولهذا السبب اثار غضب المداونين الاقطاعيين والاعيان المتنفذين وطبقة ملاك الارض . فاعتصبوا للتآمر عليه ولفقوا تهمة انه افاد من عمل الاغاثة لتعاطي الفساد والاختلاس . وأعارت الطبقة الحاكمة المتفسخة في عهد اسرة تشينغ ، عندما فَصلَت في هذه القضية ، اذنا صاغية للتهمة التي لفقها كبار الملاكين . ولما واجه بان–تشياو هذا الموقف ، قدم استقالته مستنكرا ، وما اسعد ما كان رؤساؤه لقبولها . ولذا **عُزل** تشنغ بان–تشياو من **منصبه** في اواخر الخريف وأوائل الشتاء من السنة ١٧ من عهد الامبراطور تشيان لونغ .

وقد **عُزل من منصبه** وحتى مماته في سن ال ٧٣ ، اصبح ما يسمى نمط بان–تشياو ، أي افكار بان تشياو وأسلوبه ، يتضح بمزيد من الطبع والاصالة . وقد تجلى الآن في شعره . وسوف استشهد على ذلك بقصيدته التي على وزن ((تشين يوان تشوان)) وعنوانها البسيط ((كراهية)) :

لا تشاطر الازهار الشعور ، ولا يشفي القمر الغليل ولا الهام في الخمرة . اود لو اقطع اشجار الخوخ لتشويه المنظر ولو اطبخ الببغاء لعقد حسائي . اود لو اكسر دواتي وأحرق كتبي وأحطم عودي وأمزق لوحاتي وادمر كتاباتي وأطمس كل اثر لاسمي . . .

خلقي لا يلين ، على الرغم من فقري وهزالي ، بحصيرتي العتيقة وثيابي البسيطة وقبعتي القش .

اقيم سنة بعد سنة في هذه الحارة القميئة ، وعشب الخريف ينمو
حول كوخي ،
وينهمر الرذاذ على شباكي المتداعي ، ويتقد مصباح وحيد ليلة قليلة .

هل يمكن ان تخرسني السماء وتمنعني من التنفيس عن كراهيتي بالتنهد مرة او مرتين ؟

انني لا اتمالك نفسي ، فاتخذ مئة قطعة حرير كي ارسم حزني بكل التفاصيل .

دعوني . . . بالمناسبة اريكم لوحة لبان–تشياو لم يسبق نشرها من قبل . اسمها ((السحاب والخيزران في جبال بعيدة)) ، وربما رسمها عندما كان يتولى محافظة فانهسيان ، وقد كتب عليها قصيدة :

على شفا هاوية جبلية ، تنتصب بعض السحالب وحيدة ، وتثير اوراق الخيزران الضئيلة حفيفا في ظلالها الرطبة ،
على ان اخلع قبعة الوظيفة قريبا
لكي آتي اليها وأستريح بلا هموم

واضح انه رسم هذه اللوحة وكان ما يزال متصرفا ، غير انه لم يعد راغبا في الوظيفة . والانطباع الذي تبعثه اللوحة هو عين ما توحي به القصيدة . أفلا تتضح الفكرة التي في اللوحة عندما تعارض محتواها بحياة المداون التي كان الفنان يحياها آنذاك ؟

ثمة على حد اطلاعي ، اناس ما زالوا يتبعون نمط بان–تشياو . إلا ان النقطة الأهم هي ، في اعتقادي ، ان يهضم المرء الروح في نمط بان–تشياو . فما هو ؟ قوامه في رأيي **ان يكون المرء سيد نفسه بصدد كل شيء وأن يرفض العمل عبدا !**

قال بان–تشياو : ((على من يكتب ان يفعل ذلك سيدا لا عبدا)) انها ملاحظة بالغة الاهمية . ولتذكير نفسه بانفاذها دائما ، اصطنع خاتما حفرت عليه هذه الكلمات : ((تشنغ سيد الدار)) . بكلمة اخرى ، وفي كل ما يصنعه ، كان سيد نفسه ويشق طريقه بنفسه دائما .

(من مقال : ((تشنغ بان–تشياو ونمط بان–تشياو)) ،
صحيفة كوانغ مينغ اليومية ، ٢١ تشرين الثاني ١٩٦٣)

التعليق :

انها لمصادفة غريبة حقا . فبعد ان كتب ووهان مسرحية ((عزل هالي غوي)) ، شعر تنغ تو فجأة بالحنين الى الاقدمين وكتب في احياء ذكرى عزل تشنغ بان–تشياو الذي عزل من منصبه . وكم كان مستنكرا ومنفعلا ! فاذا قارن القارىء هذه القطعة لتنغ تو بمسرحية ووهان ، رأى على الفور ان الرجلين يؤديان لحنا واحدا على آلتين مختلفتين ، أي انهما ينفّسان عن التظلم للانتهازيين اليمينيين الذين عزلوا من مناصبهم .

ويلمح تنغ توو في لمسة اخيرة ان الروح في نمط بان–تشياو هو ((ان يكون المرء سيد نفسه وأن يرفض العمل عبدا)) . وهو يدعو الناس الى هضم هذا الروح والتعلم منه بجد بحيث ((يشق المرء طريقه بنفسه)) . ما أمكره وما أغدره ! أليس تنغ تو بذلك داعيا الناس لمعارضة قيادة الحزب ؟ تنفتح طريق الاشتراكية عريضة امامنا ، ومع ذلك فان تنغ تو يدعو الناس الى ((شق طريقهم بانفسهم)) فما هي هذه الطريق ان لم تكن الطريق المظلمة المؤدية الى ردة الرأسمالية ؟

– الاشادة بمي وان–تشونغ بوصفه ((نزيها شديد العناية في معالجة القضايا المدنية والجنائية))، ولأنه كثيرا ما كان ينقد الامور الجارية ، وانه كسب ثناء الطبقات الاجتماعية الوسطى والدنيا وعُزل من منصبه لهذا السبب .

كان مي وان تشونغ عالما علامة **ورجلا صلب العود** . وفي سلوكه كثير من دواعي الثناء . ولد في السنة الرابعة من عهد الامبراطور لونغ تشينغ من اسرة مينغ . . . وفي الخامسة والعشرين ، اجتاز الامتحان الامبراطوري لمرتبة الاجازة . . وعين في السنة التالية واليا على كيانغنينغ . وبعدها بقليل ، صدر الامر بنقله الى منصب مفتش عام في مقاطعة كيانغسي . اشتهر بالنزاهة وبشدة الاهتمام بالقضايا المدنية والجنائية وبالشؤون الثقافية والتربوية . وكان يحوز حيثما ذهب ، ثناء الطبقات الاجتماعية الوسطى والدنيا من الاهلين وثناء المثقفين .

كان واي تشونغ–هسيان يعتبر مي وان–تشونغ شوكه في صلبه لأن مي كان يحتقره وعصابته دائما . وكثيرا ما يصارح بنقد الامور الجارية . وكان في ون–هوان ، احد اجراء واي تشونغ–هسيان ، شهيرا باختصاصه في اتهام الابرياء زورا وبهتانا . وقد فتك بتهمه الملفقة بعشرات من الموظفين . وكان هؤلاء ، في القضايا الخطيرة ، يُعَذَّبون حتى الموت ، وفي القضايا الأقل خطورة ، يُعزَلون من مناصبهم وتحذف اسماؤهم من سجل الموظفين . فوقع مي وان تشونغ ضحية على هذا النحو الاخير .

كتب مي على قطعة حرير بيضاء قصيدة قصيرة عنوانها ((جبل لانكو)) ، ينساب منها خط الكتابة بطلاقة ، خلوا من كل تزمت اكاديمي . واليكم القصيدة :

عبثا تشاغل الشمس القمر دائرين حول الارض ،
وحسدا للخالدين الذين لا يهرمون .
تنقلب الأسر الحاكمة في لحظة واحدة ،
وعالم الانسان أطول بقاء من عالم هذا الكهف .

ما هي الفكرة في القصيدة ؟ انها تعبير واضح عن شعور الكاتب ازاء الاختلاجات السياسية غير المتوقعة في عهد اسرة مينغ .

(من مقال : ((مي العجوز ومي الشاب من وانبينغ)) ،
احاديث المساء في ينشان ، المجلد الثالث ، ص ٣٩ – ٤١
نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ٩ تشرين
الثاني ١٩٦١) .

التعليق :

يتخذ تنغ تو في هذه القطعة احد الاقدمين المنسيين ، وهو مي وان–تشونغ ، ذريعة كي يتظلم للانتهازيين اليمينيين .

– التظلم لعزل لي شان من منصبه :

ان سيرة حياة لي شان كئيبة . قال تشنغ بان–تشياو في قصيدة اخرى موجهة اليه :

حرقوك من درجاتك العلمية مرتين وخفضوا رقبتك مرة ، وانك لتقشعر اذ ترى ابيضاض مفرقك في المرآة .

كان لي شان قد أرغم منذ زمن بعيد على مغادرة اكاديمية الرسم في بلاط اسرة تشينغ الامبراطوري ، بنتيجة مؤامرات زملائه . فأصبح لمدة قصيرة متصرف محافظة تنغهسيان في مقاطعة شانتونغ . **وحقد عليه النبلاء اصحاب السلطة ، فعُزل من منصبه لهذا السبب .** ثم عاش عيشة التشرد ، وذهب الى يانغتشو ، حيث كسب عيشه رساما ، وأصبح احد الرسامين النشاز الثمانية في يانغتشو .

واذا قرأنا قصيدة لي المدونة على لفافة رسم له ، فسوف نفهم المعنى العميق لهذا الرسم على نحو افضل . تقول القصيدة ببساطة :

يتساقط الورق الاصفر من الاشجار حول مقام الناسك
لا خشية من صقيع الفجر الجليدي .
انني اذا اردت رسم ديك ، فليكن صيَّاحا ،
كي يوقظ ضمير الانسان الى العمل الصالح .

فلا تفسر القصيدة مغزى اللوحة وحسب ، بل تعكس ايضا مصير لي شان وغيظه وضغينته في ذلك الحين .

(من مقال : ((حول لي شان ولوحاته)) . صحيفة كوانغ مينغ اليومية ، ١٤ شباط ١٩٦١) .

التعليق :

قضية اخرى من العزل ! تظلم تنغ تو اربع مرات ، بين ١٩٦١ و ١٩٦٣ ، في قضايا عزل من المنصب ، وامتدح في كل مرة ((روح التمرد)) لدى اولئك الذين رفضوا الاذعان على الرغم من العزل . يا له من ((جهد في التفكير الخلاق)) !

١٠ – الصياح الصلف بان على حزبنا ان ينسحب في الحال و ((يخلد الى الراحة)).

– المطالبة بأن على حزبنا ان ((لا يقول او يفعل شيئا)) بل ان يتبع ((توجيهات)) تنغ تو وشركائه في كل شيء .

اني لأنصح اولئك الاصدقاء الذين يتعاطون الكلام الفارغ الكبير ان يقرأوا المزيد ، ويفكروا المزيد ويقلوا من الكلام **ويخلدوا الى الراحة لما يحين أوان الكلام** ، بحيث يوفرون الوقت والطاقة على انفسهم وعلى الاخرين !

(من مقال : ((الكلام الفارغ الكبير)) خط الجبهة ، العدد ٢١ ، ١٩٦٢) .

لا نستطيع الجزم كيف تكون هذه الحالة (من فقدان الذاكرة) في أسوأ صورها – والارجح انها تؤدي الى الجنون او الى البلاهة .
فاذا ما وجد امرؤ ايا من هذه الاعراض في نفسه ، **وجب عليه ان يخلد في الحال الى الراحة التامة ، والا يقول او يفعل شيئا .** اما اذا أصر على الكلام والعمل ، فلا بد انه ساع الى المتاعب . . . **ولزام ان يتبع توجيهات طبيب كفؤ . ولا يجوز ان تتخذ عائلة المريض أي قرار من عندها. وعلى الأخصر ، فلا يجوز ان يتدخل المريض نفسه في الامر .**

(من مقال : ((علاج نوعي لفقدان الذاكرة)) ، خط الجبهة العدد ١٤ ، ١٩٦٢) .

كان من حسن حظ العصفور طبعا انه استطاع الطيران مرتكبا عندما انكشف خداعه . الا انه ينبغي التذكر ان اولئك الذين خدعهم المشعوذون في ظروف اخرى ، لن يدعوهم بالتأكيد يفلتون بسهولة بعد افتضاح خداعهم .

(من مقال : ((حكايتان اجنبيتان)) احاديث المساء في ينشان ، المجلد الخامس ، ص ٩٣ ، نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦١) .

كان من حسن حظ العصفور طبعا انه استطاع الطيران مرتكبا عندما انكشف خداعه . الا انه ينبغي التذكر ان **اولئك الذين خدعهم المشعوذون في ظروف اخرى ، لن يدعوهم بالتأكيد يفلتون بسهولة بعد افتضاح خداعهم .**

(من مقال : ((حكايتان اجنبيتان)) احاديث المساء في ينشان ، المجلد الخامس ، ص ٩٣ ، نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ٢٦ تشرين الثاني ١٩٦١) .

كان منشأ تشيا تاو من محافظة فانيانغ . . وكانت تابعة لدولة يو وين في عصر حوليات الربيع والخريف والممالك المحتربة . وكان التقليد المتبع في هذه الاماكن ان يعبر الرجال البواسل والابطال عن مشاعرهم الفروسية في اغان مثيرة . وهكذا كتب تشيا تاو قصيدته القصيرة ((المقاتل بالسيف)) :

شحذت سيفي عشر سنين متواليات
ولم احبر حده البارد مرة اخرى .
واذا أريكموه ، اسأل الآن :
فأخبروني من ذا الذي ظلم .

من الواضح ان الشاعر كتب هذا تعبيرا عن مشاعره الخاصة .

(من مقال : ((الابداع الشعري في مذهب تشيا تاو)) ، احاديث المساء في ينشان ، المجلد الاول ص ١٦ . نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ١٨ حزيران سنة ١٩٦١) .

التعليق :

تساعدنا هذه المقتطفات على رؤية الطبيعة الغادرة المؤذية في ((احاديث المساء)) على نحو واضح فلا يقتصر تنغ تو فيها على شتم حزبنا والاشتراكية ، بل انه يريد اسقاطهما . وعندما يقول ان المصاب بفقدان الذاكرة ((يجب عليه ان يخلد في الحال الى الراحة التامة)) ، أليس واضحا ان الأمل يحدوه في طرد الحزب الشيوعي من السلطة ؟

– التلميح بانه ((ليس مجرد مثقف يطلق الكلام جزافا)) بل ((رجل صامد القلب)) ، ((يكافح الحكام الاشرار بشجاعة)) .

دعا علماء تونغلين الى التعلم على مذهب يانغ شي ،
فاهتموا بكل شيء على الارض وتحت السماء .
لا تظنوهم مجرد مثقفين يطلقون الكلام جزافا ،
فقد هرق الدم قانيا عندما تجندلت رؤوسهم .
كان علماء تو نغلين جيلا صامد القلوب ،
يكافح الحكام الاشرار بعزيمة لا تلين .
تتلألأ نزاهة كاو بان–لونغ خالدة في المجد ،
وكل حرف من قصيدته الاخيرة يحرك شغاف القلب .

(من مقال : ((في مديح بحيرة تايهو)) ،
صحيفة بكين اليومية ، ٧ ايلول ١٩٦٠) .

التعليق :

اكثر تنغ تو من الكتابة عن حزب تونغلين في السنوات الاخيرة . وقد اشاد خاصة بمقطع من بيتين وضع على اعمدة اكاديمية تونغلين ، وقال ان اعضاء التونغلين ((كان لهم هدفهم السياسي الخاص)) سواء في دراستهم او في تعليمهم ، وأنهم كانوا جميعا ذوي ((عود صلب)) . من الواضح ان هناك ايضا ((هدفا سياسيا)) في هاتين القصيدتين اللتين تمتدحان روح التمرد و ((مكافحة الحكام بعزيمة لا تلين)) . ان تنغ تو وأقرانه يحاولون ، في نشاطهم ضد الحزب وضد الاشتراكية ان يرفعوا معنويات عصابتهم بالرجوع الى حزب تونغلين والتدثر بروحه المتمرد .

١١ ـ ((احاديث المساء في ينشان)) تهاجم الحزب والاشتراكية بذريعة اسداء ((المعارف)) .

((الانطلاق من أتفه الاشياء كالذباب او البق ، للانتهاء في شؤون السياسة)) :

احد تكتيكات تنغ تو في مهاجمة الحزب والاشتراكية

تظهر ((احاديث المساء)) تباعا في هذه الصحيفة ، ومع ذلك فانها عمليا لم تقل شيئا عن الصحف ذاتها . لماذا ؟ هل يعود ذلك لكونك لا تهتم بالصحف ؟

وجه لي بعض اصدقائي الاقربين هذا اللوم **فلم اتمالك عن ان انفجر ضاحكا . وماذا اقول عن الصحف ؟** طيب ، ها هي رسالة جاءت من احد القراء يطلب الي الكلام عن وفاة لين باي–شوي. وهذه مناسبة تسنح اخيرا للكتابة عن الصحافة .

اسس لين باي شوي بعد ثورة ١٩١١ ((صحيفة المجتمع الجديد اليومية)) في بكين . وكتب في احدى مقالاته : ((يكون حسنا حقا ان تتوفر لنا الديمقراطية في الصين اليوم الا ان بقايا القوى الاقطاعية ما تزال سالمة وسوف نحتاج الى ١٥ يوما من الجهود لاجتثاثها)) . وكما لاحظ بعضهم ، فقد انقضت ١٥ سنة بين كتابته المقالة وبين الثورة الكبرى عام ١٩٢٥ ـ ١٩٢٧ . ويمكن ان يعزى هذا الامر الى ((بصيرته)) ، **غير انه قيل ان مقالاته كانت تعالج مواضيع كثيرا ما تكون ((ملتصقة بالصدفة)) ، وكانت ((تنطلق من أتفه الاشياء كالذباب او البق ، لتنتهي في شؤون السياسة)) ، وانها كانت مليئة ب ((الاستنكار تتخلله الفكاهة)) . ولذا فقد اثارت سخطا خاصا لدى بعض الحكام .**

لقد اغلقت ((صحيفة المجتمع الجديد اليومية)) مرة بأمر رسمي . وعندما استأنفت الصدور ، اعلن لين باي–شوي : ((من الآن فصاعدا ، تحذف كلمة ((جديد)) من اسم ((صحيفة المجتمع الجديد اليومية)) ، بحيث ان اسم هذه الصحيفة صار على نحو ما مقطوع الرأس ، اشعارا بمعاقبة النفس)) . وهكذا تحولت ((صحيفة المجتمع الجديد اليومية الى ((صحيفة المجتمع اليومية)) .

(من مقال : ((وفاة لين باي–شوي)) احاديث المساء في
ينشان ، المجلد الخامس ، ص ١٠٥ ـ ١٠٧ . نشر لاول

مرة في : اخبار بكين المسائية ، ٢٦ آب ١٩٦٢) .

التعليق :

لماذا لا يتمالك تنغ تو ، وهو الصحفي القديم ، عن ان ((ينفجر ضاحكا)) لمجرد ذكر الصحف ؟ ان هذا الامر يسترعي النظر فيه وسوف نكتشف عندها السبب وهو ان تنغ تو كان موضع نقد عندما كان يدير صحيفة ، وقد حفظ للحزب ضغينة من جراء ذلك .

كان لين باي–شوي رئيس تحرير صحيفة اسسها في بكين بعد ثورة ١٩١١ ، وصوره هو كاتبا يعالج مواضيع كثيرا ما تكون ((ملتقطة بالصدفة)) ، وأنها كانت تنطلق من أتفه الاشياء كالذباب او البق لتنتهي في شؤون السياسة . أليس هذا اعترافا من تنغ تو عن اساليبه الخاصة ؟ وما العمل اذا لم يدرك القراء المغازي المقصودة في المقالات التي ((يتكلف كل هذا العناء)) في انشائها ؟ انه يعمد الى التلميح لهم ، باستنطاق احد الموتى ، ليشير اليهم ان ما يكتب عن قرميد السقوف والنحل وسائر هذه الاشياء ، ((ينتهي كله في شؤون السياسة)) . هذا هو المفتاح الذي ينبغي ان ((نفك)) به ألغاز ((احاديث المساء في ينشان)) .

– معظم ((احاديث المساء في ينشان محشوة بالتوريات ولها ((غرض سياسي)) :

((اصوات الريح)) ، والمطر ، ومطالعة الكتب ، كلها تملأ آذاني ، وينصب اهتمامي على قضايا الاسرة والدولة والعالم كافة)) .

هذا مقطع نظمه كو هسيان–تشنغ ، زعيم حزب تونغلين في عهد اسرة بينغ . لماذا عاد هذا المقطع فجأة الى ذاكرتي ؟ كنت اتحدث مع بعض اصدقائي ، فألفيتهم يعتقدون ان الاقدمين لم يكن لهم غرض اصدقائي ، فألفيتهم يعتقدون ان الاقدمين لم يكن لهم غرض سياسي من دراسة الكتب، وأنهم كانوا يدرسون للدراسة فقط ، وأنهم لم يلصقوا ما يقرأون على أي غرض عملي . وقد استشهدت بهذا المقطع لاثبات ان رأيهم لا اساس له من الصحة . ثم انه مقطع لا يعرفه الا قلة من الناس ، وهناك حاجة للتدليل عليه .

يعني البيت الاول منه ان بيئة اكاديمية تونغلين كانت ملائمة لاولئك الذين يهبون انفسهم للدراسة . توفر حروفه الأحد عشر صورة حية للمشهد الذي تنصهر فيه اصوات الريح والمطر بصوت الانسان وهو يقرأ جهارا . يجعلنا هذا البيت نشعر وكأننا انتقلنا بأنفسنا الى الاكاديمية وسمعنا العلماء يقرأون ويحاضرون مضارعين كل اصوات الطبيعة .

ويفيد البيت الثاني ان كل الذين كانوا يدرسون في الاكاديمية كان ينبغي لهم الاهتمام بالسياسة . وتعكس هذه الحروف الاحد عشر تماما المثل العليا السياسية للعلماء من حزب تونغلين في ذلك الزمان وهي تحث المرء ألا ينصب اهتمامه على شؤون اسرته وحسب ، بل ان يعني كذلك بشؤون الدولة والعالم قاطبة .

واذا ما ربطنا البيتين ، استقام المعنى بمزيد من الوضوح : على المرء ان يجدَ في الدراسة وأن يهتم بالسياسة في الوقت ذاته ، وينبغي ان يتضافر الشيئان وثيقا . وبالاضافة الى ذلك فان **اصوات الريح والمطر في البيت الاول هي تورية يمكن فهمها على معنيين ، فتشير في آن الى الريح والمطر بوصفهما ظاهرتين طبيعيتين ، والى عواصف الحياة السياسية** . وبذلك فان للمقطع معنى **عميقا .**

واذا حكمنا بمنظورنا الحاضر ، امكننا رؤية **ان العلماء من حزب تونغلين كان لهم بوضوح غرض سياسي من دراستهم وتعليمهم .**

كما يزداد وضوحا ان على المرء ان يدرس بجد وأن يعنى بالسياسة في الوقت ذاته . والاقدمون انفسهم قد فهموا هذه الحقيقة وروجوا لها . فهل يمكن الا نعدلهم نحن وألا ندرك هذه الحقيقة ؟ يجب علينا ، بكل حال ، ان نفهمها على نحو أشمل وأنفذ من الاقدمين !

(من مقال : ((الاهتمام بكل شيء)) ، احاديث المساء في ينشان ، المجلد الثاني ص ٦٠ – ٦١ . نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ٨ تشرين اول ١٩٦١) .

التعليق :

يقول لنا تنغ تو ان ((العلماء من حزب تونغلين كان لهم بوضوح غرض سياسي من دراستهم وتعليمهم)) ، وأن ما اسموه اصوات الريح والمطر هو تورية ذات معنيين ، ((تشير في آن الى الريح والمطر بوصفهما ظاهرات طبيعية ، والى عواصف الحياة السياسية)) ، وأنها ذات معنى ((عميق)) . ان تنغ تو ليكشف ههنا عن اساليبه هو .

– تحريض الناس على التعبير عن ((سخطهم على الواقع الاجتماعي)) باستخدام ((طريقة الرسم الكاريكاتوري)) :

عرف الأقدمون كيف يستخدمون الرسم سلاحا لفضح الاشخاص السيئين والاعمال السيئة ، وللثناء على الاشخاص الطيبين والاعمال الطيبة . وبذلك يمكن اعتبار الرسوم التي موضوعها المعارضة بين الخير والشر على انها نوع من الرسم الكاريكاتوري الصيني القديم .

إلا ان رسامي الكاريكاتور القدامى لم يقدروا ، على العموم ، الواقع الاجتماعي في زمانهم على نحو نقدي ، وليس لهذا وحسب ، بل ان الشجاعة اعوزتهم لفضح الآثام الاجتماعية . ولذلك فقد اختار بعض الفنانين شكلا بالغ الاستخفاء للتعبير عن سخطهم على الواقع الاجتماعي في زمانهم .

وكانت اكثر الرسوم الكاريكاتورية استرعاء للانتباه هي بلا ريب رسوم ((الفنانين الثمانية النشاز في يانغتشو)) . كان هؤلاء الفنانون في الواقع رجال علم من الجنوب والشمال كليهما ، ساخطين على الواقع الاجتماعي . كانوا غاضبين ومشمئزين من المجتمع ، كلهم شكاوى ويسيرون على نشاز مع زمانهم . لذا دعاهم الناس ((نشازا)) وقبلوا هم اللقب عن طيبة خاطر . ولما كانت هذه مشاعرهم ، فكان لا بد لرسومهم ان تكون على شيء من النشاز . لنأخذ اعمال لوليانغ–فنغ مثلا . . كان يجب رسم الاشباح فوق كل شيء وكسب بها شهرة عظيمة . وكل يعلم ان اشهر عمل له هو ((صورة مزاح عن الاشباح)) ويمكن اعتباره رسما كاريكاتوريا قديما نموذجيا .

(اننا) نعلم **ان تمثيله الهجائي للاشباح كان في الواقع تمثيلا هجائيا للناس** . وفي مجتمع ذلك الزمان ، لو استخدم الفنان الرسم الكاريكاتوري لهجاء الرجال الاحياء مباشرة ، لكان ساعيا الى المتاعب بكل بساطة . اما وقد هجا بضعة اشباح ، فلا ضير عليه . ومن المرجح ان الفنان ، قد قرر في النهاية ، على اثر مثل هذه الاعتبارات العملية ، ان يعتمد طريقة الرسم الكاريكاتوري لهجاء الاشباح .

(من مقال ((الرسم الكاريكاتوري القديم)) ، ((احاديث المساء في ينشان)) ، المجلد الثالث ص ٥١ – ٥٣ . نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ، ٢ تشرين ثاني سنة ١٩٦١) .

التعليق :

التلميح ههنا شديد الوضوح . ((التمثيل الهجائي للأشباح)) هو ((تمثيل هجائي للناس)) ، يستخدم ((طريقة الرسم الكاريكاتوري)) للتنفيس عن السخط على الواقع الاجتماعي ولا ريب ان ((احاديث المساء)) تنسج على المنوال ذاته .

– الانسحاب المؤقت في الوضع الحرج
من بين الحيل الست والثلاثين ، الانسحاب هو خير حيلة

عرض لي كراس مطبوع على الآلة الناسخة ، عنوانه : ((ست وثلاثون حيلة)) .
انه يعدد الحيل الست والثلاثين ولكي يثبت نجاعتها ، يورد الامثلة ايضا عن تطبيقها من قبل الرواد الأقدمين . **وهنا تكمن قيمة الكراس** .
هل تكلم احد في الازمان الغابرة عن الحيل الست والثلاثين ؟ ومن هو اول المتكلمين عنها ؟ على قدر اطلاعي . . . ربما كانت اول اشارة اليها هي التي وردت في ((سيرة وانغ تشنغ–تسيه)) من ((تاريخ اسرة تشي الجنوبيين)) .
نجد في هذه السيرة من ((تاريخ اسرة تشي الجنوبيين)) في المجلد ٢٦ ، النص التالي :
كان الامبراطور مصابا بمرض خطير . وعندما تمرد وانغ تشينغ–تسيه فجأة في الشرق ، ارتعدت الفرائص هلعا في البلاط . وكان وريث العرش الشرعي هو الامير الذي دعي بعد مماته السيد مخبول الرأس . . . ولما اخبر بأن وانغ تشينغ–تسيه قد وصل ، اسرع في جمع المتاع والرحيل . علم وانغ تشينغ–تسيه بذلك فعلق عليه قائلا : ((من بين الحيل الست والثلاثين لدى اللواء تان ، الفرار هو خير حيلة ، لا يستطيع الاب والأبن إلا الفرار على عجل)) .
وفي سيرة وانغ تشينغ–تسيه من ((تاريخ الأسر الجنوبية)) نجد العبارة ذاتها في المجلد ٤٥ : ((لا يستطيع الاب والابن إلا الفرار على عجل)) ، ولكنها مردفة مباشرة بجملة اخرى : ((ربما قال وانغ ذلك استهزاء بتان تاو–تشي الذي تجنب القتال ضد دولة واي)) .
عاش تان تاو–شي قبل فترة وانغ تشينغ–تسيه بقليل ، وكان احد الألوية الذين ناصروا ليو يو وهو الامبراطور وو من اسرة سونغ ، لاقامة ملكه ايام الأسر الجنوبية . وبعد ان ورث العرش ليوبي–لونغ ، وهو الامبراطور من اسرة سونغ ، رفع تان الى منصب سيد مقاطعة وو لينغ ومنحه لقب القائد العام لفتح الجنوب . وجه تان جيشه ضد دولة واي ، وخاض نيفا وثلاثين معركة ظفر بها كلها . ومن بعدها ، نظرا للنقص في المؤن من الحبوب والعلف ، امر بالانسحاب معتمدا حيلا بارعة .
وردت هذه القصة بمزيد من التفصيل في ((سيرة تان تاو–تشي)) في المجلد ١٥ من ((تاريخ الأسر الجنوبية)) :
سار تان تاو–تشي ، بوصفه قائد قوات الحملة ، نحو الشمال للاستيلاء على البلاد ، وشق طريقه بالقتال الى نهر تشي غلب قوة كبيرة من دولة واي واحتل هواتامي . وخاض نيفا وثلاثين معركة ضد جيوش واي وظفر في معظمها . وعندما بلغ جيشه ليتشنغ ، نفذت مؤونته فعاد أدراجه . فاستسلم بعض الرجال الى واي وأخبروا العدو عن فقدان المؤن في جيش سونغ ، فانتشر القلق والخوف بين رجال تان وتدنت معنوياتهم . وعند المساء ، جعلهم تان يزنون رملا ويصيحون بالوزن بصوت عال وكأنهم يزنون أرزا ، وينثرون على الرمل ما كان لديهم من أرز قليل . وبعد طلوع الفجر ظن جنود واي ان جيش تان كانت ما تزال لديه مؤونة كافية ، فامتنعوا عن ملاحقته . وظنوا ان الرجال المستسلمين قد كذبوا عليهم فضربوا اعناقهم . كان جنود تان أقل عددا ونال منهم الانهاك وكان الذعر سائدا في الجيش . امر تان رجاله بارتداء دروعهم وتقدم هو نفسه على عربة حربية الى اطراف معسكره . فعندما رأى جنود واي ذلك ، خشوا من خديعة فلم يجرؤوا على الدنو وانسحبوا . وعلى الرغم من ان تاو–تشي لم يفلح في احتلال الارض جنوبي

النهر الاصفر ، فقد عاد بجيشه سالما . فاسهم ذلك في نشر شهرته كبطل في كل مكان ، وصارت دولة واي تخشاه كثيرا .
فاذا حكمنا من خلال ذلك ، فان تان تاو–تشي لم يعمد الى حيلة **((الانسحاب هو خير حيلة)) وحسب . وما كان لينجو بالانسحاب ، حتى لو اراد ذلك ، لو لم يعمد الى حيل سواها . وقد نجح في الانسحاب بأمان** بفضل اعتماد عدة حيل متناسقة ، مثل الانتشار العسكري الكاذب وبذر الشقاق في صفوف العدو ، وكانت نتيجتها ان جيوش واي لم تجرؤ على مواصلة اللحاق به . ولكننا ، كما نرى الامر اليوم ، نجد ان هزء وانغ تشينغ–تسيه لا يعدو اثبات انه نفسه لم يكن رائدا في شيء .
وبعد اجراء دراسة شاملة لما يعنينا في المواد المذكورة اعلاه ، واستخلاص نتائجنا الخاصة ، ندرك معنى القول انه من بين الحيل الست والثلاثين لدى تان تاو–تشي ، الانسحاب هو خير حيلة. واذا ما استخلصنا **مقتضيات ذلك ، أفلا يتضح ما هي الحيل الست والثلاثون ؟**

(من مقال : ((ست وثلاثون حيلة)) احاديث المساء في ينشان . المجلد الخامس ص ٨٤ – ٨٧ . نشر لاول مرة في : اخبار بكين المسائية ٢ ايلول ١٩٦٢) .

التعليق :

((ست وثلاثون حيلة)) هو آخر مقال في سلسلة ((احاديث المساء في ينشان)) ، صدر في ٢ ايلول ١٩٦٢ ، عندما كانت اللجنة المركزية الثامنة للحزب مزمعة ان تعقد دورتها الكاملة العاشرة . وجد تنغ تو ان الوضع يميل الى المجافاة ، فعمل بمقتضى القول انه ((من بين الحيل الست والثلاثين ، الانسحاب هو خير حيلة)) ، وأجرى الترتيبات المقتضاة للانسحاب . وكان عليه ، لكي يضمن سلامته في الانسحاب ، ان يستخدم ذكاءه ويعمد الى بعض المناورات . ولو لم يلجأ الى حيل اخرى لما استطاع الانسحاب بسلام ، ((حتى لو اراد ذلك)) . وقد عدد تنغ تو اسماء الحيل الست والثلاثين كلها لفائدة شركائه . وهكذا ، ((قطعت)) ((احاديث المساء في ينشان)) مؤقتا ، في حين واصل خان اللصوص في قرية الأسر الثلاث اعماله كالمعتاد ، محافظا على قواه ومتربصا ليعاود النشاط في لحظة مناسبة . ولكن تنغ تو أكانت لديه ٣٦ او ٧٢ حيلة ، لن يستطيع الافلات ابدا .

(نشر لاول مرة في ((صحيفة جيش التحرير اليومية)) و ((صحيفة كوانغمينغ اليومية)) في ٨ ايار ١٩٦٦) .

---

(١) المصدر : جان دوبيه ، تاريخ الثورة الثقافية البروليتارية في الصين (١٩٦٥ – ١٩٦٩)، الطبعة العربية الأولى ، ترجمة : طلال الحسيني ، دار الطليعة – بيروت ، نيسان (أبريل) ١٩٧١ ، ص ص ٢٥٠ – ٢٧٨ / نسخها للإنترنيت الصوت الشيوعي .
(٢) هذه الوثيقة تبين بجلاء السبب الذي من أجله اشعل الرفيق ماو تسي تونغ نيران الثورة الثقافية البروليتارية العظمى . فقد أتت هذه الثورة ***كرد فعل*** على هجمات الثورة المضادة المندسة داخل صفوف الحزب الشيوعي الحاكم . لطالما ادعى المؤرخين والكتاب الرأسماليين والامبرياليين المعادين للشيوعية ان اسباب الثورة الثقافية في الصين غير واضحة وانه لربما كان وراء قيامها اسباب ومطامح شخصية متمثلة بسعي الزعيم الصيني الراحل ماو التخلص من كبار زعماء الحزب الشيوعي الصيني ، مثل ليو تشاو تشي ، بسبب خشيتة من ان ينافسوه على قيادة الحزب والدولة !! هكذا وبكل سهولة يزور الرأسماليين التاريخ . . . . – ملاحظة الصوت الشيوعي .

(٣) جرت الاستعانة بالترجمة العربية في مجموعة الوثائق المنشورة في كتاب الثورة الثقافية الاشتراكية الكبرى في الصين (دار دمشق) .